

الحلقة السابعة والثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تعاني مستمعي من الشك؟ وهل تراود أفكارك الشكوك؟ هناك من يشك بشكل مستمر ومن أمور عديدة. فهو يشك بتصرفات زملائه، ويشك بمحبة أهله له. وقد يتناول الشك أموراً يسمعها وحتى أموراً يراها، إذ أن المهم بالنسبة له أن يتأكد من الأمور بنفسه وبشكل ملموس ويقيني. هل تعلم مستمعي أن الشك في الحقائق الدينية أيضاً هو من الأمور الهامة التي تحول دون إيمان الإنسان؟ كيف أو من بأمر أشك بحقيقته؟ وفي نفس الوقت إن الإيمان هو ركن أساسي في المسيحية. وبدون إيمان لا يمكن للإنسان أن يصبح مسيحياً وبنال خلاص الله.

نقرأ عن حادثة حصلت في أيام المخلص المسيح كشفت لنا التناقض بين الشك والإيمان. فقد أمر المخلص المسيح تلاميذه أن يدخلوا السفينة، بينما ذهب هو إلى الجبل ليصلي. وبينما هم في السفينة هاجت الأمواج، وفي ختام الليل أتى المسيح إليهم ماشياً على البحر، فاضطرب التلاميذ وظنوا أنهم يرون خيلاً. وَمِنَ الْخَوْفِ صَرَخُوا! فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: «تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا». فَأَجَابَهُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِن كُنْتَ أَنْتَ هُوَ، فَمُرْزِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ». فَقَالَ: «تَعَالَ». فَنَزَلَ بُطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذْ ابْتَدَأَ يَغْرَقُ، صَرَخَ قَائِلاً: «يَارَبُّ، نَجِّنِي!». فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَّكَ؟» وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ سَكَنَتِ الرِّيحُ. وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!» (بشارة متى ١٤: ٢٢-٣٣). سنتأمل الآن بهذه الحادثة.

مستمعي الكريم، لقد خاف التلميذ بطرس وشك بالرغم من أن المسيح سبق له أن قال للتلاميذ الخائفين عندما رآه ماشياً على البحر: «تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا»، وأمره بأن يأتي إليه ماشياً على الماء. لكن بطرس مع اشتداد الرياح خاف وابتدأ يغرق، فصرخ قائلاً: يا رب نَجِّنِي. وهنا مدَّ المسيح يده وأمسك به قائلاً له: «يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَّكَ؟» لقد بدأ خوف بطرس عندما شكَّ بقدرة المسيح على حفظه، وهكذا قلَّ إيمانه أو حتى فقده، ولهذا لم يكن غريباً أنه أخذ يغرق. وكان أمراً طبيعياً أن يوبَّخه المسيح قائلاً: «يَا

قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَّكَ؟» ولَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ سَكَنَتِ الرِّيحُ.

من الواضح إن الشك يقابل الإيمان، فعندما يستولي الشك على الإنسان يبتعد الإيمان. وعندما يسيطر الإيمان يهرب الشك. لهذا من المهم جداً أن نواجه الشك بالإيمان. ولنلاحظ أن الذين كانوا في السفينة عندما لمسوا قدرة المسيح العجائبية الخارقة آمنوا به ثم «جاءوا وسجدوا له قائلين: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!».

هناك حادثة هامة أخرى توضح لنا العلاقة بين الشك والإيمان. فبعد قيامة المسيح من بين الأموات، شكّ التلميذ توما بقيامته. فلَمَّا ظهر المسيح مرّة ثانية للتلاميذ وكان توما موجوداً معهم. قَالَ لَتُومًا: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا». أَجَابَ تُومًا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَاللَّهِ!». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومًا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (بشارة يوحنا ٢٠: ٢٧-٢٩). أجل طوبى للذين آمنوا ولم يروا. هذا هو طلب الله من الإنسان أن يؤمن، يؤمن فقط بالمخلص المسيح، وأن يطرد كل شك، لكي يحصل على خلاص الله وغفرانه الكامل.

ولنلاحظ أن الإيمان هو عكس العيان والأمور المنظورة المحسوسة. فالإيمان كما يعرفه لنا سفر العبرانيين هو: «الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى» (العبرانيين ١: ١). فهو الثقة الأكيدة بالله، والإيمان الكامل بالخالص الذي وقّره لنا، وبوعوده من أجلنا، وبالمخلص المسيح الذي أرسله لفدائنا.

صديقي المستمع، كما ذكرنا في بداية اللقاء فإن الإيمان هو ركن أساسي من أركان المسيحية. ولهذا نجد كلمة الله تشدد على أهمية الإيمان لكي يحصل الإنسان على خلاص الله. إذ مهما قام الإنسان من أعمال صالحة، فإن هذا لن يبرره أمام الله. ولقد صرح الرب يسوع المسيح نفسه قائلاً: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسَلْتَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (بشارة يوحنا ٥: ٢٤). يؤكد المسيح هنا أن كل من يؤمن بأن الله قد أرسله، أي أرسله لفداء البشرية، فله حياة أبدية. أي ينال الغفران الكامل ويحظى بالخلود.

ولنلاحظ قول المسيح أن هذا الشخص الذي يؤمن لا يأتي إلى دينونة، أي لن يدينه الله في يوم الدينونة الأخير، بل سينتقل فوراً من الموت إلى الحياة. والسبب لأنه آمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب. فمهما كان الإنسان شريراً فإن الله يغفر خطاياه بمجرد إيمانه القلبي بالمخلص المسيح.

أما الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل فقد كتب قائلاً: «لَأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ. لِأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمِنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرِفُ بِهِ لِلْخَلَاصِ. لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُخْزَى» (الرسالة إلى رومية ١٠: ٩-١١). إذن يخلص المرء وينال الغفران عن خطاياه عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، أي الإيمان بعمله الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. وكما لاحظنا لأن كل من يؤمن به لا يردّه الله خائباً، ويحقق له رغبته بالخلاص. هذه هي نعمة الله الغنيّة ورحمته لخلاص كل من يؤمن.

ولهذا نقول إن الخلاص الذي يقدمه الله هو خلاص مجاني، لأن المسيح قد دفع ثمن عقاب خطايانا على الصليب، وما علينا نحن سوى أن نؤمن فقط. فهل تراك مستمعي تأتي تائباً عن خطاياك ومؤمناً بالفادي المسيح؟ وعندها تنال الغفران الكامل وتصبح من أولاد الله وتحظى بالخلود.